الانتقاد على المنار

نعيد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا الينا بانتقاد مايرونه منتقدا في المنار من مسائل الدين وغيرها عملا بما أوجب الله تعالى من التواصي بالحق والتعاون على الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط ان تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المنتقدة و يبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا واذا ذكر عدد الصفحة يمكن ان يستغني عن عدد الجزء وان لايحتج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس فيما هما حجة فيه وأن لايكون في الكلام استطراد الى مسائل أخرى لاتفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئا من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر مايكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لانه لايمكن أن نشغل كثيرا من صفحات المنار بالجدل والقيل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقادا مبهما على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علاته وأجبنا عنه فانتقل الى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علاته ايضا وأجبنا عنه . فأرسل الينا ردا آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها الى ادارة المنار وأرسلتها الادارة الينا في القسطنطينية فقرأنا جملا من مواضع منها فاذا هي مملوءة بالتناقض والمسلطة والاغلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على مانشرنا له من قبل فماذا يقولون اذا نشرنا له هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بارساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟؟

يقول احمد بدوي افندي اننا ظلمناه فيما كتبناه عن انكاره لعلم الله بجزئيات أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بفقرات من رسالته يحتج بها علينا في ذلك ثم انه اهاننا بفقرات كثيرة وعيرنا بتقليد الغزالي كما عيرنا من قبل بتقليد ابن تيمية! فليقل في ذلك ماشاء سامحه الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه من كلامه وللقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما فهمه المسلمون وما جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بثها في المنار والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن بيانها وعن فهم ما يرد عليها لضعفه في اللغة العربية وعلى اعجابه بها بحيث لا يطيق قبول شيء يخالفها فنحن لا نشير له بعد الذي نشرناه شيئا منها لاسباب (منها) ان المنار لم ينشأ لنشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوش بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والسلطة والخطأ في العبارة (ومنها) علمنا الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاعجابه برأيه وكونه لا يفهم ما يوجه اليه من الكلام العربي الصحيح فهما تاما وأوضح الآيات على ذلك انه فهم من قراءة المنار في الزمن الطويل ان منشيء المنار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا ما جزم به في رسالته الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد نفسه !!! (ومنها) اضاعة كثير من صفحات المنار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلأحمد بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبحث عن مجلة غير المنار

هذا واننا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه ونعذره من بعض الوجوه على ما نراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون مخطئتنا له في بعض المسائل لضعف عبارته وكونها لا تؤدي مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداده للفلسفة الدينية قد أخطأ ويخطيء كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو أتقن اللغة العربية واطلع على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يجيء منه خير كثير والله الموفق

* * *

﴿ آدم ابو البشر ﴾

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامع الزيتونة في (تونس) مايأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا الله واياه على الطريقة المثلى

انا نقرأ في فاتحة كل مجلد من منارکم وخاتمته الدعوة الى انتقاد ما يهم انتقاده من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمتن البينات على طهارة نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتى نكتب اليكم في شأن ما أشكل علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعيرة من شعائر الدين أماتها الجهل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة (سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم للبشر لا يرتضيه القرآن فيما نرى فبادرنا الى الكتابة اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قلتم ان للاستاذ الامام رأيين في تفسير آية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق بابوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جنابكم الرضا عما ذهب اليه « تغمده الله برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأبين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى به التعبير بالناس والروايات المستفيضة في مدنية السورة تقعد في طريق من يحمل الناس على اهل مكة فالظاهر الحمل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية الاعراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

الآية لوجهين الاول ان سورة النساء مدنية وسورة الاعراف مكية ثانيهما ان في حمل آية الاعراف على العموم مسًّا لمقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين !

وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بابوة آدم للبشر اجمعين واخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعيا لمذهب دارون يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الامام « رحمه الله » وجرينم « حفظكم الله » على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس ببني آدم في مقام الوصية باخذ الحذر من وسوسة ابليس وفتنته ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة ابيهم ابناء آدم عليه السلام وما نقلتموه عن الاستاذ الامام في تأويل ذلك بعيد كما يتجلى لفضيلتكم بقليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب الى بني آدم اذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟

أما السنة السنية فمن أظهر ماورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم تراب » وما جاء في حديث الاسراء من الاسودة عن يمين آدم وشماله وأنها نسم بنيه أفكانت ارواح غير الآدميين في مقر آخر ام كانت في ذلك المقر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم « اذ لم يسأل عنها » لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس » الحديث . وفي سعة علمكم بالسنة ما يغني العبد عن حشر اكثر من هذا

ان لم تكن الآيات والاحاديث نصوصا قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر اذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الاصوليون ولو ذهب ذاهب الى أنها لا تفيد اكثر من الظن كان للقائل بابوة آدم للناس اجمعين ان يسأله عن الوجه في إيثار ذلك الظني على هذا الظني فان كان الوجه عنده درء ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالغيب أكثر من اولئك عددا واقوى شبها فهل نؤول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم وينقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « ان المسألة علمية لا دينية » وقولكم « ان المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية ـ أو قريب من هذه العبارات » فللعبد فيهما نظر

أما الاول فلأن ما بين دفتي المصحف دين لا شيء منه يجائز مخالفته وهل يأذن الدين لاحد ان يذهب الى مالا يصادق عليه القرآن في تكوّن الجنين باسم علمية هذا البحث أم هل يأذن لاحد أن يقول بما يقتضيه القرآن في تاريخ فرعون باسم ان المسألة تاريخية ؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية أو البشرية أمر اعتباري لا يصح ان يكون منشأ الخلق والايجاد هذا ما يتسع له الوقت من البحث وفيما آتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي ما يغني عن التذكير بأقل من هذا والسلام عليكم أولا وآخرا . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧

(المنار) نشكر لاخينا في الله انتقاده وتذكيره وغيرته على الدين والعلم ونجلي ما ألم به من المسائل بما يأتي :

(١) ان الاستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولا قال ان القرآن ينبغي أن يؤول ليوافق داروين أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم أبا لجميع البشر ثبوتا قطعيا حتى نؤول لاجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم أيضا في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وانما قصارى رأيه انه اذا ثبت ما يقولون لم يكن ذلك مخالفا للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل فعلى هذا يكون فهمه رحمه الله للآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه صوابا أم خطأ لانه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره وانما فهم الآية وأمثالها فهما لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة

(٢) قلتم انه ظهر لكم انني راض عما ذهب اليه قلتم هذا بعد نقل المسألتين فعلم منه انكم فهمتم انني راض عنهما كلتيهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به من تكبير ما به من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير ما فسرها به رحمه الله تعالى وغير ذلك ، وفيه الوعد بتحقيق مسألة ما يفيده مجموع آيات القرآن المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ما ورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنين ،

فعلم من هذا الوعد اننا لما بينا رأينا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لا يقلدونه تقليدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء وإنما كان يحث على الاستقلال . وبعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم مثارين: فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لا يجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فالخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لا يقضي كون القول بهذا شاذا فانه معزو الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لاهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام دينا عاما كما انه لا يقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو إلى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان مورده خاصا ولو شخصيا ما لم يقم دليل على الخصوصية. مثال ذلك في العرب قوله تعالى (٩:١٢٨ لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير انفسكم بالعرب لا ينفي كون الرسالة عامة لجميع البشر . ومثاله في الامور الشخصية ما ورد في الافتاء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأسئلتهم المعبر عنها بمثل يسألونك ويستفتونك كما هو مكرر في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون المخاطب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لاهل مكة هو العمدة في الاستدلال على ما فسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ما ورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما معا لا يقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها وأحاديث ولا يكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الاية تنفي كونه أبا لجميع البشر .

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون مافيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على العموم لا يصح لأنه ليس مقام النبوة فاذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يمتنع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بحسب ذاته حتى نقول انا تأولنا آية الاعراف لتطابق القول بعصمة الانبياء ولا حاجة الى تأويل آية النساء. فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلا لهما لان لفظ النفس ليس مرادفا لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان مايرد في تفسير مبهمات القرآن لا يجعل اللفظ المبهم نصا ولا ظاهراً في المعنى الذي فسر به في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا نقبل ذلك التفسير اذا صح عندنا . مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) هو فلان بن فلان فاننا نقبل هذا التفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لان العربي الذي لا علم له بذلك الحديث لا يفهم هذا المعنى من اللفظ . ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم ألبتة فكيف نقول ان ماورد في ذلك يجعلها نصا أو ظاهرا وهو لم يرد تفسيرا لها؟ وهذا هو مرادنا مما قلناه في (ص ٤٨٦ م ١٢) ان الذين فسروا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدل صديقنا المنتقد على كون جميع الناس من بني آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالحذر من فتنة الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكتة. ويمكن أن يجاب بأن نكتة ذلك في الآية التي أشار اليها هي إقامة الحجة عليهم بما كان من عاقبة ومؤسته لابيهم والعبرة في ذلك لسائر المكلفين الذين لا يعتقدون انهم من ذرية آدم كأهل الصين هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يجتنبوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم . ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى « يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » فيعلم انه لا يكون على شيء يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن . وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث لعن أهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت « يحذر ما صنعوا » وقد بينا آنفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لا ينافي عموم التكليف فاذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم . ومن ذلك خطاب الانصار بقوله تعالى « ٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهي هداية لجميع المسلمين أيضا كما قبلها و بعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الالوف لا يعتقدون أنهم أبناء آدم ولم يسمعوا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم الى آدم والمأثور المعقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث العاقل للقوم على ما يعهدون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء مخالف لما يعتقدون جاء به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا و يشيرون الى هذا في أول كتب المعاني . وفي صحيح البخاري من حديث علي موقوفا « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون يكذب الله ورسوله ؟ » وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » . وورد في الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لا يعرفون آدم ولا يعتقدون أبوته لهم هو العمدة في جزم الاستاذ الامام بعدم حمل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة عند العبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ما أوردناه من الاحاديث ليس نصا أصوليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم من آدم » لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمريكا ولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسودة التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لا تدل على كونه أبا لجميع البشر . ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر انه رأى هنالك أو في مكان آخر نسم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لا يمنع ان يكون هنالك أو في مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والانبياء ولا دليل فيه على كون ما رآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان ما رآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لاجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي هي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لا يتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم « وان من أمة الا خلا فيها نذير »

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيرا للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لا حجة فيه على القرآن إن صح ولا وجه لأن يكون حائلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجمال والابهام والاطلاق والعموم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن تطرق الريب اليه وتحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يؤلف فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى يظهر له ولغيره الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثة عشر قرنا ونيف ولم يظهر في هذا القرآن

الذي جاء به النبي الامي الناشيء في الامين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الاعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمور العالم دون امور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وان لم ينقض ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمنتقد أن يذكر ماعنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة اصول كما تمثينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المنتقد ان شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أبا لجميع البشر أو يعتقدون ان لهم عدة آباء فهل نؤول آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لا يوردون شبهات على عالم الغيب وانما هم قوم تابعون لحسهم يقولون اننا لا نؤمن الا بما نراه أو نحس به وهم يعلمون ان عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى اخبار عالم الغيب مانعة من ايمانه وما كنت أظن ان هذا يخفى على المنتقد الفاضل ولعله سرى اليه من بعض المارقين الذين كفروا بالله ورسله تقليدا لبعض الافرنج اذ يسمعهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألهم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا او شبهة ؟ لا لا ! وانما يقولون انه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ، ونحن المؤمنين نقول مثل ذلك ونزيد انه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تثقون بخبرهم اذا قالوا لكم ان في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المنتقد بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يهديه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في المنار من قبل وهي ان الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره ـ هذان الامران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن باتمطيه عبارته الفصحى

ويتبادر من أسلوبه الأعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلمات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان واننا نرى كثيرا من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات المأثورة عن السلف عند تنبههم لها اذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الاسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستراه في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الاولين

(١٤) أما انتقاده نفسنا الله بغيرته على العلم والدين فقولنا ان المسألة علمية لا دينية فاني أجيبه عنه بالايجاز وان لم أتذكراني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجد وقتا للمراجعة فأقول ان ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراره لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلا لان هذا ليس من مقاصد الدين وانما يذكر على انه من الآيات على قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه ورحمته بعباده ، ومن المنبهات للانتفاع بما في هذه المخلوقات والشكر عليها ، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى « وجدها تغرب في عين حمئة » فلا يراد به أن ذا القرنين وجد الشمس تنزل من السماء فتغرب في عين حمئة من عيون الارض . ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن الا صادقا ولكننا لا نعرف ان أحدا من علماء المسلمين عني كعنايتنا وعناية شيخنا الاستاذ الامام بالدعوة الى الاهتداء بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم الى ما كثر الارشاد اليه في آياته كالبحث في خلق السموات والارض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسير في الارض والاعتبار بسنن الله في أحوال الامم بعد معرفة تأريخها ، فاننا نرى علماء المذاهب الدينية فينا قد أهملوا أكثر ما أرشد اليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جله محصورا في الاحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الاحكام الدنيوية كالبيوع والشركات والمخاصمات فلا يقال لمثلنا ان كل ما في القرآن دين وإن الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولا لا يصادق

عليه القرآن فنحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهديه فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتى في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعتبر شرعا اكثر مما حددها القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المتقدما كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي . فاذا جاز ان يعتمد أئمة الفقه منا على قول بعض النساء اللواتي هن مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان ما نطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وإنما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضعفاء منهم لانهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس . على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ماقاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلقهم ولكننا اخترنا ان ندع ما أبهمه القرآن على إبهامه (ص ٤٨٦ م ١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٥) وأما انتقاده الاخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناه على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة ناسيا ما فسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا . ونعني بذلك الروح الانسانية التي اتحدت بالجسد فصار مجموعهما حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكون منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا . فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري ؟ ؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار تمحناه وزدنا فيه فوائد

اثبتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حدتها منها ان لبعض الباحثين من المسلمين العصريين رأيين آخرين في النفس الواحدة أحدهما انها الانثى ولذلك وردت مؤنثة في كل آية وصرح بتذكير زوجها الذي خلق منها في بعض الآيات وثانيهما انها كانت جامعة لاعضاء الذكورة والانوثة وذكروا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣٩ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمح لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بابوة آدم لجميع البشر وقد وعدنا هناك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير